AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences
E-ISSN: 2637-0581

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
العدد 7، الرقم 1، فبراير 2024
E-ISSN: 2637-0581

أثر دلالة المكان في وعي الشاعر العربي في العصر الجاهلي
The pragmatic impact of 'place' on the awareness of the Arab poet in the pre-Islamic era

معروف راجي أووييمي Maruf Raji Owoyemi
مدير منظمة المعروف للخدمات الإسلامية و التنمية البشريّة، بماليزيا
almahruf200@gmail.com

رحمة بنت أحمد حاج عثمان Rahmah Binti Ahmad H. Osman
International Islamic University Malaysia
rahmahao@iium.edu.my

محمد أنور بن أحمد Muhammad Anwar Bin Ahmad
International Islamic University Malaysia
muhanwara@gmail.com

Article Progress

Received: 30 Dec 2023
Revised : 21 Jan 2024
Accepted: 17 Feb 2024

* Corresponding Authors:

Maruf Raji Owoyemi

E-mail: *almahruf200@gmail.com*

ملخص البحث

يمثل "المكان" ميزة بارز من ميزات الشعر العربي الجاهلي، وكان له حضور بارز في إنتاجاتهم الشعرية، ولا يكاد يوجد شاعرا من شعراء العصر لجاهلي إلا وقد وقف على أطلال حبيبته أو يعشق إلى مرابعها وديارها التي عفت ويبكي إلى آثارها التي أكل عليها الدهر وشرب. وهو لا يقل أهمية في الشعر العربي، سواء كان المقصود به المعنى العام أو الخاص. وقد وظفه الشعراء الجاهليون توظيفا يشكل عنصرا من عناصر القصيدة العربية وتضفي عليها طوابع وجدانية نفسية ترتسم إليها الذكريات. ويهدف هذا البحث إلى دراسة دلالة المكان في الشعر الجاهلي تحديدا في المعلقات الشعرية من خلال ربط المكان بنصوص المعلقات الشعرية التي تناولت الأماكن في العصر الجاهلي. وقد يظن بعض الناس أن المكان – بمعناه العام والخاص – يرمز إلى مجرد سكن أو موقع جغرافي غير أنه يرمز إلى معان أعمق وبعد خيالي نفسي ووجداني حيث يفيضه علي الإنسان من روح المواطنة والكينونة وهو من أهم المظاهر الجمالية، وله ارتباط وثيق بالوجود والكينونة، والهوية الإنسانية، مما يستدعي منا الاهتمام به. وكان لهذه الدراسة أهمية بالغة حيث أنه تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة قضايا المكان ووصفه ودلالته في الشعر

العربي الجاهلي. ومن أهم نتائج الدراسة أن هناك علاقة تفاعلية بين المكان وساكنه حيث تجعل المكان واضحا في تشكيل النص، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي، وكما نلاحظ أن رحابة المكان جغرافيا لا تعني بالضرورة اتساعه في الشعر أو في نفسية شخوصها خاصة.

الكلمات المفتاحية: المكان، المعلقات الشعرية، وعي الشاعر، العصر الجاهلي .

ABSTRACT

"Place" represents a prominent feature of pre-Islamic Arab poetry, and it has presence in their poetic productions. Hardly would you find a poet of the pre-Islamic era without standing on the ruins of his beloved, craving for the depastures of her ruined homes, and criing for his beloved that has been consumed by time. "Place" is no less important in Arabic poetry, whether within the contextual or literal meaning. The pre-Islamic poets used it in a way that constitutes an element of the Arabic poem and gives it emotional and psychological stamps that bring back memories. This research, therefore, aims to study the significance of place in pre-Islamic poetry, specifically in poetic appreciation, by linking place to the texts of poetic appreciation that dealt with places in the pre-Islamic era. Some people may think that "place" - in its general and specific sense - symbolizes mere habitation or a geographical location, but it symbolizes deeper meanings and an imaginative, psychological and emotional dimension, as it overflows upon a person with the spirit of citizenship and being. It is one of the most important aesthetic manifestations, and has a close connection to existence, being, and human identity. Which requires us to pay attention to it. This study was of great importance as it relied on the descriptive and analytical approach to address issues of place, its description, and its significance in pre-Islamic Arabic poetry. The main finding of the study is that there is an interactive relationship between the "place" and its inhabitant, which makes the place clear in the formation of the text, and this is what we find in pre-Islamic poetry. As we note, the geographical spaciousness of the place does not necessarily mean its breadth in poetry or in the psychology of the poet in particular.

Keywords: place, the classical poems, the poet's awareness, the pre-Islamic era.

المقدمة

للمكان أهمية في حياة الإنسان، فقد كان "أسبق في وجوده من الوجود الإنساني، فقد خلق الله سبحانه وتعالي الأرض وذللها، وهيأها كما هيأ الكون كله، بوصفه المكان الأكبر لحياة الإنسان، وعلي الأرض وداخل هذا الكون كان ادراك الإنسان لـ (الزمان) و(المكان)، وإن اختلفت طريقة ادراكه لكل منهما "، (أبو الهيف، 2005م) لأن "ادراك الإنسان للزمن ادراك غير مباشر، فهو يتحقق من خلال فعل الإنسان وعلاقته بالأشياء، في حين أن ادراك الإنسان للمكان ادراك حسي مباشر، وهو يستمر مع الإنسان طوال سني عمره، مما يؤكد حميمية العلاقة التي تربط بين الإنسان والمكان مباشرتها وملازمتها لحركة الإنسان". (أبو الهيف، 2005م)

ومما لاشك فيه أن للمكان حضوراً قوياً وفاعلاً في النفس الإنسانية، إذ يرتبط بوعي الإنسان منذ نعومة أظفاره، فيختزن في ذاكرته أشياء كثيرة من العواطف والذكريات الإيجابية أو السلبية، كما يختزن في مخيلته العديد من جزئيات هذا المكان صغيرة كانت أو كبيرة، وتظل محبوسة في ذاكرته حتى يجد لها المتنفس ولو بعد حين، فالمكان ليس مجرد مسحه، او قطعة أرض أو حيزاً جغرافيا لا يعني شيئاً لهذا الإنسان، بل هو جزء لا يتجزأ من حياته، لذلك نجده يشكل حضوراً قوياً عند كثير من الشعراء، فنراهم يترنمون بأسماء البقاع والبلدان والأماكن التي كان لها وقع وتأثير خاص في نفوسهم.

لقد كان المكان هو الموجه لحياة الجاهلي ووجوده، مما جعله يتعامل مع مظاهره تعاملاً خاصاً ومنفرداً في جميع أشكاله. من هنا رأينا أن قضية المكان داخل النص الشعري الجاهلي جديرة بالاهتمام والدراسة، لنقف علي هذا الحضور للمعلقات الشعرية بعلاقاته وأخلاقياته، والالتفات إلي عمق هذه العلاقات والأخلاقيات التي تنشأ بين المكان وبين مختلف المعاني، وحضور ذلك كله كفضاء داخل النص الشعري.

وإذا كان الشاعر متعلقاً بالمكان الذي عاش وتربي فيه فنجد القصيدة قد جاءت بالطلل الذي كان في العصر الجاهلي وهو أساس القصيدة.

ومن هنا نري اختلاف الأمكنة منها: المكان الأليف، المتوحش، المجازي، الهندسي، المفترض، الموضوعي، والمكان بوصفه تجربة معيشة، وهو مكان عاشه المؤلف، وبعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه الخيال فأثر في أدبه.

ويضم المكان الأليف والمتوحش الأماكن الجامدة من وصف الشاعر للجبال والوديان والأنهار والبحار والصحراء وكثير من المظاهر الطبيعية، التي وصفها الشاعر العربي عامة والمغربي خاصة، فالمكان في الواقع هو الإنسان القائم علي بلده وأصله.

وقد استمر ذلك عند شعرائنا الجاهليين، وقد أحس الواصفون للأطلال نثرا وشعرا وعادوا عيل المكان بأوصاف الإنس والاجتماع.

وعندما يكون اهتمام الشعراء بالمكان والأطلال بالغاً، فهذا دليل علي أهمية العشق والحب لديهم، ومن هنا وجدنا الشاعر العربي القديم قد أسرف في وصف المكان لا لشئ إلا لأجل حبيبته، تلك المرأة التي أخذت حيزاً كبيراً من تفكيره.

فالأماكن شاخصة للحس لكنها تنقل المتلقي من الحقيقة الواقعية لها إلي الحقيقة المختزنة في نفس الشاعر، لتتجلي لنا حقيقة المكان في بعده التاريخي والتي تكمن كلما ازداد الالتفات نحو الماضي والتعامل مع الأرض والأماكن السابقة التي يستحضر الشاعر من خلالها عهد مضي أو تكون ذات دلالة سياسية نابعة، لرفض الشاعر دار الهوان بالهروب من محل الإقامة إلي الملاذ الأمن لجور السلطان، أو رفض المكان، أو الابتعاد النفسي والانسلاخ بعد الانسجام والانصياع.

أما ادراك المكان– المجازي– المفترض للزمان أو المكان الخيالي بأطره التجريدية فهو البعد الأخير لدلالة المكان الفنية والذي ندرك به المعني الحقيقي له أو الحسي من خلال معاني الألفاظ الدالة عليه في الذهن أو من سياق النص الذي يتحدد بمفاهيم فلسفية منفصلة عن الواقع قد تكون معبرة عن حلم شخصي رافض للمكان المجرد من خلال مفهوم الاغتراب عن العالم أو العصر متمثلا لنا في أبيات المتنبي أو الشريف الرضي، ودعبل الخزاعي، والسيد الحميري، وكذلك العديد من شعراء عصرنا الحديث ممن رفض الواقع المؤلم وصور له صورة

متناقضة تلتقي في أفق التأمل بجمهورية أفلاطون وحلم المدينة الفاضلة، أمثال محمد رضا الشبيبي، والجواهري وحيدر الحلي وبلند الحيدري، ومصطفي جمال الدين، وغيرهم كثير.

(وليس من شك في أن أي معني يمكن أن يكشفه الإنسان في الطبيعة فإن الطبيعة ذاتها لا تعبر عنه كما يعبر الفنان عن معناه في فنه، وهذا يكفي لبيان أن الجمال في الطبيعة يختلف من حيث النوع عن الجمال المعبر في الفن) علي اعتبار أن الصور المعمولة خير من الصور الطبيعية جمالا، فاستحضار النماذج مع المملكة التخيلية المتميزة والصنعة ترتقي بالصور إلي عالم المثل، وختاماً فدلالة المكان الشعرية هي الصورة الفنية التي تضفي لنا الخصوصية والأصالة علي الأبداع الفني ليس للنص الشعري فحسب بل لجميع الأعمال الأدبية.

المكان مفهومه وأهميته:

تعريف المكان لغة:

يجدر بنا الوقوف علي معني المكان فنياً أن نوضح حدة اللغوي ورسمه،

فقد جاء في لسان العرب: "المكان": الموضع، والجمع أمكنة وأماكن، توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكن في المكان، وهذا كما قالوا في تكسير المسيل: أمسلة، وقيل: الميم في المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون، وهذا يقويه ما ذكرناه من تكسيره علي أفعله، وقد حكي سيبويه في جمعه امكن، وهذا زائد في الدلالة علي أن وزن الكلمة فعال دون مفعل. (الأزدي، 1345هـ)

فأن قلت فإن فعالا لا يكسر علي أفعل إلا أن يكون مؤنثا كأتان وأتن. الليث: المكان اشتقاقه من كان يكون، ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية الجسم وينفذ فيه أبعاده". (الصعب، 2010)

ثم يقسم المكان إلي قسمين:

مكان مبهم، ومكان معين، فالمكان المبهم هو: "عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف إنما هو بسبب كون الخلف في جهة، وهو غير داخل في مسماه.

والمكان المعين: "هو عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار، فإن تسميتها بسبب الحائط، والسقف وغيرها، وكلها داخله في مسماه".

وهكذا نجد أن المفهوم اللغوي للمكان يكاد يكون واحداً، فـــ"العرف اللغوي يري أن للمكان حداً واحداً، وهو (الحاوي)، أو (الكائن)، سواء أكان مدركا بالحواس أم بالتصور الذهني.

ويقول (غاستون باشلر): "إن المكان هو الصورة الفنية للمكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، وأنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا".

من هنا نجد أن (باشلر) يعرف لنا المكان بصفة عامة، بأنه المكان الذي ولدنا فيه، وتربي فيه الفرد منا. فالمؤلف ينطلق من النقطة الاساسية وهي أن البيت القديم هو بيت الطفولة، ومكان الألفة، ومركز تكيف الخيال، فالبيت الأسري يشكل للفرد أساس الحماية والقدرة علي التماسك بين الأفراد.

المكان فنيا:

يري بعضهم أن المكان: سلسلة من الأنماط الشيئية المتوزعة التي تحتل حيزا، ولها أبعادها وخصائصها المادية، ففهم المكان قائم أولا علي الخبرة والتجربة، أن نفهم المكان يعني أن نجربه.

وبذلك يصبح المكان إطارا للأشياء، ينطوي عليها ويبرزها، ويصبح التعبير مكانيا: هو تعبير عن خصائص الموضوعات المادية المحيطة بنا التي سرعان ما تتكون صلاتنا بها.

وإذا كانت كلمة "مكان" كما يقول لالاند: "عندما تستعمل دون أي تحديد أخر إنما تنطبق علي المجال الهندسي الإقليدي الذي يخضع للقياس الموضوعي، فإن المكان في الشعر الجاهلي لا يفهم من خلال وصفه المادي المجرد فحسب، لأن الأديب- وبخاصة الروائي- يتعامل معه بخياله الواسع، وأحاسيسه، ورؤيته المكانية الخاصة".

ويمثل المكان مكونا محورياً في بنية المعلقة، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين".

وتتأسس دلالة المكان علي اللغة، فهو: "مكان لغوي تخييلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور". "وتعامل الشاعر مع المكان لا يتم بالنظر إليه كأشكال، وحجوم، وفراغات، ومناظر، وأشياء، وألوان مختلفة، وإنما يتم باعتبار كل هذا مجرد "رموز لغوية" حاملة للكثير من الدلالات الجمالية، والوظائف الفنية، رغم ارتباط اللغة- أصلا- بأصولها الحسية بفعل ما تتوفر عليه من أبعاد فيزيقية، ذلك أن المعلقة الشعرية تخلق "عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة".

"ويكاد يتفق الباحثون في مجال النقد الأدبي علي أن المكان في الشعر الجاهلي هو مكان قائم بذاته ينهض علي مقومات وخصائص جعلته يمثل العمود الفقري الذي تربط به أجزاء المعلقة الشعرية ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث بشكل أعمق وأكثر أثراً.

ولو تتبعنا الألفاظ الدالة علي المكان في القصيدة العربية، لوجدنا العديد من شعر الشعراء وحديثهم عن المكان وارداً في مقدمه القصيدة، والمكان هو مظهر عام عند شعراء المعلقات الشعرية، وطقس لا يغيب عنهم، ومثل هذا يعد من الظواهر التي تستحق أن يوقف عندها، فقد برز المكان في الشعر الجاهلي في المعلقات حين أشار شعراؤها إلي بعض الأماكن ذات العلاقة القوية بهم- فإذا أوردنا شعر بعضهم، فكان من أهمهم امرؤ القيس، فقد كانت

طبيعة الحياة وظروفها التي عاشها امرؤ القيس مصدراً مهماً من مصادر تكرار التجربة وإعادة الحياة فيها، وذلك ظاهر في تجربة المكان ولهو الشاعر.

وعندما نبحث عن نموذج من العطاء الشعري الجاهلي نراقب فيه خصوصية استخدام الألفاظ الدالة علي المكان نجده في قول امري القيس في معلقته:

قفا نبك من ذكري حبيب بسقط اللوي بين الدخول

فتـوضح فالمقراة لم يعـف لما نسجـتـها من جنوب

(سقط اللوي، وحومل، توضح، المقراة، الدخول).

وهي ترتبط بحالة تذكر يعيشها الشاعر، والمكان هنا أصبح معزولاً عن شرطه الإنساني، ذلك أنه لم يعد سوي بقايا أثار لم تندرس بعد بشكل كلي، لكن أهميتها تأتى بما تثيره لدي الشاعر، ثم لدي المتلقي من ذكري إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدريج، لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء".

لقد تشرب امرؤ القيس بالفاجعة في وقوفه أمام المكان المتهدم، فالتجربة المكانية أساسية وجوهرية في معلقة امرئ القيس، وفي مقدمات الطلل الجاهلي، فقد توحدت بعض التجارب وشكلت إطاراً للقصائد المرتبطة بالمكان والتجذر فيه.

والبيت الأول من هذه المعلقة لا يتحدث عن وصول فعلي إلي المكان الموصوف بأنه (سقط اللوي)، أنه بالأحري دعوة إلي الوقوف كما لو كان من علي مسافة وإلي التذكر، وإلي البكاء علي ما كان ذات يوم منزل المحبوبة.

وبما أن المكان هو الحيز المادي الذي تجري به الأحداث والمنعكسات الوجودية فمن الطبيعي أن يحظي المكان بأهمية قصوي في الكشف النصي، وهذا يعني أن المكان في المعلقات الشعرية عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكل واحداً من مفاتيح المعلقة الشعرية الذي يساعد علي كشف مدلولاتها وأسرارها، مما جعله في رؤية النقاد والمبدعين زاوية النص باعتباره المفتاح الأهم للولوج إلي فضاء النص والوقف علي حيز المعاني التي يتضمنها النص الشعري".

ومن هذا المنطلق يمكن الكشف عن خصوصية المكان بوصفه مكمن الدهشة الجمالية في التحفيز النصي، وهو المفتاح للكشف عن كثير من الرؤي والمضمرات النصية، خاصة عندما يكون مرتكز الصورة ونقطة تحولاتها الدلالية ونقطة التفجر الرؤيوي في الدلالات ومنعكساتها عيل المسار النصي للمعلقة الشعرية.

وما من شك في أن اهتمام الباحثين بالمكان في المعلقات الشعرية لم يأت عن عبث وإنما جاء عن وعي وادراك، نظراً إلي ما يحتله المكان من علائق روحية ترتبط بالبواطن الشعورية العميقة في النفس البشرية، فكيف بالذات المبدعة التي تملك حساسيتها المرهفة في الاحساس بالمكان، وترجمة هذا الاحساس شعريا، ولعل أهم ما يميز المكان- أو توظيف المكان شعرياً- أنه يقع بين زاويتين هما: زاوية التشكيل الشعري، وزاوية التأويل، وضمن الزاوية الأولي تتشكل الرؤية المكانية وفقاً لرؤية شعرية غالبا ما يتحكم فيها الخيال ليمنحها بعداً تأثيرياً جمالياً، وضمن الزاوية الثانية يكون لأحاسيس المتلقي ورؤيته الذوقية وأسسه النقدية أثر في صياغة تجربة الشاعر، وبهذا يكون المكان المدمج في بنية المعلقة منفتحا علي عالم التخييل عند المتلقي.

وهذا يعني أن المكان الشعري مكان فني أو مجازي، وليس مكانا فيزيائيا أو جغرافيا فحسب.

والمكان لا يكتسب شعريته إلا من خلال تفعيله للرؤية الشعرية والحدث أو الموقف الشعري، فكم من الأماكن لا قيمة لها شعرياً في الحقل الفني أو الجمالي، لأنها مجرد صور فوتوغرافية توصيفية جامدة لا دور لها في تكثيف الرؤية والحدث الشعري أو تفعيل الفضاء الجمالي للقصيدة، ووفق هذا التصور، ليست كل الأماكن شعرية، وليست كل الأماكن لا شعرية، فالمكان الشعري هو وليد الحدث والموقف الشعريين، وبمقدار تفعيل الأماكن للرؤي والأحداث والأماكن بمقدار ما تزداد شعريتها، وتتنامي كثافتها، وفاعليتها التعبيرية، وقدرتها التأثيرية.

وقد عرف المكان أيضا علي: أنه وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية الأدب، وعدت أحدي الوحدات التقليدية الثلاث، ولطالما كانت مثار جدل في تحقق العمل الأدبي والفني في المسرح بالدرجة الأولي، ولم يتجاوزها منظرو الأدب في العصر الحديث، بل صدرت إلي ركيزة من ركائز الرؤية وجمالياتها في النظرية الأدبية.

المكان وعلاقته بالشعر:

"العلائق التي تربط المكان بالمعلقات الشعرية كثيرة، فالشعر العربي عموماً- والقديم منه خاصة- ازدهر بفعل عامل المكان، وأبرز تلك العلائق ذلك البناء المتقارب في الشكل والمحتوي بين لابيت الشعري والبيت من الأبنية، فالتسمية الموحدة دليل تشابه، كما أن قيام بيت الشعر علي دعامات وأساسات إذا اختلت أنهار البيت وزالت عنه صفة الشاعرية يشبه بتلك القواعد والأركان التي يتكون منها البيت السكني، وينهار إذا تداعت". (الصعب، 2021)

ويعد أول من انتبه إلي تلك العلاقة الخاصة الناقد ابن رشيق في مقولته: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية، قراره الطبع وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعني، ولا خير في بيت غير مسكون. وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية". (الجرجاني، 1954)

"وذهب إلي مثل هذا القول بعض الباحثين المعاصرين من حيث إن "العلاقة لا يمكن أن تكون شكلية فقط، وإنما هناك اشتراك في الشكل والمضمون، وعليه فإن المسألة ليست شكلية كما يتبادر إلي بعض الأذهان ولكنها نابعة من عمق وجدان العربي، وهي تجسد مكانة الشعر عند العربي، تلك التي توازي عنده المكان الذي يجد فيه الراحة والاستقرار والحماية". (الجرجاني، 1982)

"كما يذهب حازم القرطاجني إلي تأكيد وتأصيل المسألة وتفسيرها حيث يري أن قصد محاكاة بيوت الشعر- بكسر الشين- لبيوت الشعر- بالفتح- إنما كانت، لأن أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلي قول الشعر هو الوجد، والاشتياق، والحنين علي المنازل المألوفة، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها، وكأن الشاعر يريد أن يبقي ذكراً أو يصوغ مقالا يخيل فيه حال أحبابه... الخ. (التبريزي، 1985)

ومن الباحثين من يري أن تطور البيت الشعري في القصيدة الحديثة أيضا واكبه تطور أخر وفلسفة البنائيين الجدد، ففي داخل بنية القصيدة الكلية جرت تحولات أخري علي الإيقاع، والزمن، وبناء الصورة، وحجم البيت الشعري نفسه.

كما حملت القصيدة الحديثة علوماً جديدة وتيارات فكرية وفلسفية مما طبع حداثتها بمركبات مغامرة جديدة، كذلك شأن البيت من الأبنية فهو الأخر قد حمل إضافات العصر وتطوراته، وأفكار البنائيين الجدد واجتهاداتهم الفلسفية والفكرية.

وهذا يؤكد القيمة الفنية لنص ابن رشيق في فكرة العلاقة بين وحدة القصيدة والوحدة العضوية للمكان: "إلا أن المضمر في نص ابن رشيق لم يفقد بعد، وقد يساعدنا علي تأكيد الفكرة العامة للعلاقة بين وحدة القصيدة، والوحدة العضوية للمكان المعبر عنه. (العميري، 2006م.)

ونؤكد علي أن الربط بين الشاعرية والمكان لا يحتاج إلي مزيد من الأدلة والبراهين، وهي من القوة والوضوح بما يجعلنا نكشف عن علائق أخري تنأي عن الشكل لتمس جوانب نفسية واجتماعية تربط بين بيت الشعر وبيت السكن، فنري تلك الراحة النفسية التي يشعر بها الشاعر وهو يرتب الكلمات والأفكار في حدود بيته الشعري شبيهة بتلك الطمأنينة التي يجدها ساكن بيت السكني وهو يرتب إثاثه ومقتنياته داخل عالمه الصغير.

فتاريخ المكان في الشعر تاريخ عريق، وهو تاريخ متصل، تتناقله الأجيال وتتمثل وتعيد صياغته علي نحو من استلهام التراث المتجدد في روح المجتمع، فقد أصبح الشعر الذي يتعلق بالمكان فكراً للمجتمع يجري في وجدان الأمة جريانه علي الألسنة.

دلالة المكان وأثره في وعي الشاعر العربي القديم:

يعد المكان هو البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشاعر الجاهلي، فقد انفعل الشاعر الجاهلي مع الأرض بما فيها، ووجد أن المكان قد سيطر عليه سيطرة تامة، فلم يكن المكان سوي وضع بيئي حتمي فرض علي الشاعر وجعله يوجه حياته تجاهه، وأنما تعامل مع المكان ومظاهر الطبيعة تعاملاً خاصاً ومنفرداً في جميع أشكالها وأنواعها، فلحظة الوقوف علي المكان الطلل عند الشعراء مدعاة للتأمل، فالمكان موضع يقرب الناس ويجمعهم، أي مكان إقامة وحلول، صالحاً للحياة لكنه أصبح طللاً متهدماً.

"وتكاد اللحظة الطللية في القصيدة الجاهلية أن تكون من أهم العناصر التي تتكون منهما القصيدة، لأنها تكشف عن علاقة قوية بين الإنسان والمكان، ولكن ليس المكان الذي كان، وإنما المكان في حالته الراهنة وبما طرأ عليه من تحول وخراب". (القرطاجني، 1994م.)

فالسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يخاطب ويبكي الشاعر الطلل "المكان" هذا الخطاب وهذا البكاء كله؟

إن مخاطبة الطلل تكشف عن وعي الشاعر العميق بالمكان وإحساسه به، وقد تكررت هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي حتى شكلت ملمحاً أسلوبياً وذلك خلال مخاطبة الطلل بالنداء الذي يكون للعنصر الإنساني في العادة، وقد حاول النقاد قديماً وحديثاً الإجابة عن هذا السؤال:

فقال بعضهم: "إن الشاعر في وقوفه علي طلل المحبوبة إنما يتذكر الأيام الخوالي لاتي كانت له معها، أما الآن وقد تفرقا فيشعر بالشوق والحنين إليها، ومادام اللقاء غير ممكن بينهما فأنه يبكي حرقة وشوقاً وألما". (الفيومي، 2007م.)

"كما أن هناك اعترافاً عند بعض الشعراء بأن الأطلال لا يمكن أن تفهم وتدرك، ولذلك لجؤوا إلي وصفها بالخرس- الصمم- مثل قول زهير بن أبي سلمي:

لا الدار غيرها بعد الأنين * بالدار لو كلمة ذا حاجة (العميري، 2006م.)

وقد جاءت مخاطبة الشعراء للأشياء، لتعكس العلاقة القائمة بين الشاعر والمخاطب بغض النظر عن كينونة هذه العلاقة وماهيتها، ويبدو أن العلاقة بين الشاعر والأشياء التي خاطبها علاقة تضاد في الغالب، فهو يرفض أن تكون الأطلال صامته فيتوسل لها، والنفس لا ترحم فيطلب منها أن تصبر والقلب جامح فيطلب منه الشاعر أن يتحمل، فالموت شئ كريه، والليل طويل مثقل بالهموم والميت يوقظ في النفس مشاعر الأسي، فالشاعر يعي أن هناك علاقة تربطه بالأشياء، ولذلك فإن الشاعر الجاهلي لم يكن يري الأشياء جامدة علي الحقيقة وإنما كان يري أنها نايضة بالحياة قادرة علي الحديث أحيانا، فحاورها وعكس مشاعره من خلال هذا الحوار.

كما أن هناك قسم أخر من الشعراء يخاطب الطلل وكأنه كائن حي يعي ويدرك، ويضفي علي الديار هالات من القداسة، ويحيها، ويتمني لها الحياة كقول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عبلة بالجـواء تكلمي وعمـي صـــباحاً دار عـبلـة

(عابد،1997م.)

تقترن مخاطبة الطلل بإيقاظ الأسي واللوعة في نفسية الشاعر، وتأتي المخاطبة بأنها إعلان للوجد والألم اللذين يسيطران علي الشاعر، إن إحساس الشاعر بالمكان جعله يفطن إلي قيمة هذا المكان، فمخاطبة الطلل لا تخرج عن إحساس الشاعر العميق بالمكان، لأن

الطلل يصبح رمزاً للتهدم والزوال، وهذا يعني أن الشاعر مضطر إلي أن يعيش لحظة الصراع بين ما يريد وبين الواقع الحقيقي، فهو يريد أن يظل المكان سليماً عامراً بالحياة، لكن الواقع يقول غير ذلك، فالشاعر يقيم بينه وبين الطلل علاقة وثيقة، فهو يتوسل إليه، لكي يتحدث ويخبره عن ارتحال القوم، والشاعر لم يلجأ إلي ذلك إلا ليبرز أن المكان جزء لا يتجزأ من حياته ووجوده، فالطلل تجسيد لحنين الشاعر إلي الماضي بما كان يحمله هذا الماضي من مباهج الحياة، وبكاء الشاعر للطلل هو بكاء لذلك الماضي الذي أصبح امتلاكه أمرا مستحيلاً.

وقد كان الشعراء يحيون الأطلال بتحية أهل الجاهلية وفي هذا رفع من شأن المكان ومنحه صفات إنسانية عميقة الدلالات والأبعاد، فكانوا "يقولون في تحيتهم في الجاهلية: أنعم صباحاً، وأنعموا صباحاً، فيأتون بلغظ أنعموا من النعمة- بكسر النون- وهي طيب العيش والحياة، ويصفونها يقولون (صباحاً)، لأن الصباح أول النهار". (عبد المسلم، 2002م.)

ومن أبرز الباحثين المحدثين الذين تناولوا دراسة المكان والمقدمة الطللية في الشعر القديم: الدكتور شوقي ضيف الذي ينظر إلي المقدمة الطللية علي أنها موطن لذكريات الشاعر الجاهلي، فالشاعر الجاهلي يحن إليها حنيناً قوياً، لأن الحنين إلي المكان فطرة في النفس الإنسانية، وبكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية ذاتية بل لحظة حزينة أملاها علي الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكان.

وينظر الدكتور يحيي الجبوري إلي المقدمة الطللية من حيث إنها ديار ذكريات الشاعر، فهي تثير في نفسه ذلك الحنين والشوق إليها، ويوافقه في هذا الرأي مجموعة كبيرة من الباحثين منهم د. صلاح عيد، ود. جريدي الثبيتي...، وغيرهما.

إن اهتمام الشعراء بذكر الأماكن في قصائدهم لقصد استعادة الذكريات المرتبطة بها، كما أن هذه الأماكن تشارك الشعراء في الإحساس ببعد محبوباتهم عنهم، فهم يتعاملون معها

وكأنها صديق قريب وفي، إن الشاعر الجاهلي يبدي ودا وصداقة غريبة تجاه الطبيعة، تصل إلي أنسنته لهذه الطبيعة والعبور بها إلي عالمه الداخلي الإنساني الرحب في الوقت نفسه.

والطلل يكتسب حياته الجديدة الآبدة من ساكنيه الجدد، ولذلك فإن الشاعر وجد نفسه غريبا في موقف يدعو إلي البكاء، وأحيانا إيل التحية والسؤال، لكن سرعان ما يصبح الطلل المكان ملهماً خلاقاً قادراً علي استنطاق الشاعر". (ضيف، 1997م.)

أما عن غربة الشاعر أمام الطلل فهي تجد مأوي لها في القصيدة علي نحو ما تجد الوعول والثيران الهابطة الطلل مأوي لها، لكن العلاقة بين الشاعر والطلل لا تزال منطوية علي أبعاد أكثر تنوعاً وغني شأن كل العلاقات التي كتب لها أن تنضج بمرور الزمن ودوام التامل.

لقد اهتم الشاعر بذكر الأماكن والحديث عنها، لأن الإحساس بذلك الرابط القوي بين الإنسان والمكان هو إحساس إنساني عام يشترك فيه جميع الناس البدائي والمتحضر، كما أن هناك بعض الشواهد علي مخاطبة المكان غير المكان الطلل كانت قد وردت في الشعر الجاهلي، ومنها مخاطبة البيت ومخاطبة الجبال فيلاحظ أن ارتباط الإنسان بالمكان يكون عميقاً إذا كان المكان يعني له ذكريات وأحلاماً، ويبدو أن العلاقات الإنسانية المتداخلة تعطي المكان أهمية خاصة فالمكان الذي يقيم فيه الحبيب يجسد تجسيداً رائعاً للعلاقات الإنسانية من خلال إبراز عنصر المكان، وقد عثرنا في الشعر الجاهلي علي العديد من المقاطع، وقد جاءت أهميتها تثير المشاعر لدي المتلقي من ذكري إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدريج لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء الآن، والمستمعين في حينه.

وقد اتبع الشعراء الجاهليون أساليب شعرية في إبراز صورة المكان من أهمها كثرة الأماكن وتتابعها في البيت الواحد أو الأبيات القليلة، والشاعر وإن عدد الأماكن إلا أنه قصد مكاناً واحداً، وهو يعدد ليقول بأن الجزيرة العربية تخضع بأسرها لظروف متشابهة، كما عني بتحديد

المكان وتأطيره حرصا منه علي بقائه في مواجهة الزمن، ولجأ إلي أسلوب الحوار مع المكان ومناداته وتحيته وذلك لعمق صلته به.

وقد التفت القدماء إلي أهمية المكان في الأدب وما يرتبط به من حنين وحب، فكتبوا كتباً مهمة عن الموضوع: مثل "المنازل والديار" لأسامة ابن منقذ، و"الحنين إلي الأوطان" للجاحظ، و" نسيم الصبا" لابن حبيب الحلبي. وهذا النوع من كتب المكان واتصالها بالأدب لايزال ملموساً بتاريخيته وجغرافيته ومعجميته، ودراسات بعض المعاصرين وذلك في مقابل منهج الشعرية الذي ينظر إلي المكان في الأدب بوصفه مكاناً أدبياً نفسياً خيالياً، أي بوصفه فضاء شعرياً وليس جغرافيا.

وإذا نظرنا إلي ما كتبه القدماء عن المكان والحنين وصبا نجد فسوف نري أنهم- مثلهم مثل المحدثين- توزعوا في الاهتمام بالموضوع بين البعد الجغرافي عند أصحاب معاجم البلدان وكتب التراجم والتاريخ وحتى التفسير وبعض النقاد وشراح الشعر من ناحية، وبين الوعي بالبعد الشعري في دلالة (المكان) وشعرية (الحنين) ورمزية الأسماء من ناحية أخري.

وقد انتقل هذا البعد من القدماء إلي المحدثين بأنحاء مختلفة، وأضافوا إليه ما حصلوه من معرفة جاءت إليهم عبر المناهج النقدية الأدبية الحديثة، سواء فيما يتصل بالجانب الجغرافي، والبيئي، والتاريخي، أو فيما يتصل بالجانب الفني الرمزي.

كما ظهر عنصر النبات في أماكن متعددة، ومن ذلك عند امرئ القيس، فهو يدل علي تمني الشاعر وجود الحياة في المكان، فقد ظهر عنصر النبات في المكان عنده من خلال قوله:

تري بعر الآرام في عـرصاتها وقيعانها كأنه حب فلـفل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدي سمرات الحي ناقـف

(امرؤ القيس، 1984م.)

فالعنصر النباتي في المكان يتضح من خلال: (حب فلفل)، (السمرات)، (حنظل)، وكلها عناصر نباتية يعكس وجودها في المكان رغبة الشاعر العميقة في إسقاط معني الحياة

علي المكان المقفر، فكأن عنصر النبات في المكان لدي أمرئ القيس هاجس عميق للإحساس بالحياة تتنامي في المكان المقفر الخالي.

وصمت ديار عبلة وعدم تكلمها واستنطاق عنترة للمكان يعبر عن فقده لعنصر الحياة في قول عنترة:

دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحاً دار عبلة

(امرؤ القيس، 1984م.)

وذلك لأن هذه الحجارة تصبح رمزاً من رموز الفناء ومشكلة من مشكلات الوجود التي أقلقت الشاعر، وتأتي قيمة أسلوب الخطاب لتبرز مدي إحساس الشاعر بالحياة وما يكتنفها من تغير. فلو قاال الشاعر إن ديار عبلة مصابة بالصمم لكان المعني إخبارياً، لكن الشاعر عندما يتحدث عن الديار بهذه اللهجة فأنه يبرز لحظة الانفجار الانفعالي، فالشاعر لا يصف حالة الديار، وإنما يصف انفعاله العميق إزاء الديار التي أصيبت بالموت والخراب كما يقول عنترة في الأرض التي تقيم بها عبلة، فتلك القطعة من (الأرَض) تصبح هنا (صديقة) تعكس صورة لحبيبته البعيدة، ولذا فالأرض هنا- كما يريد الشاعر- تبارك حبة، فالأرض والشعب والوادي والبرق والرياح والنسيم والعالم كله يصبح مثالا علي حب الشاعر، فنري اللمعان والصفاء والبريق في كل مكان من هذه الأماكن التي ذكرها الشاعر.

وقد تأتى الإشارة إلي الحيوان في الأبيات دلالة علي خلو المكان من الناس، وفي ذلك يقول الأعشي:

ودع هريرة إن الركب * وهل تطيق وداعا أيها

(الأعشي، 1999م.)

ويشير التبريزي إلي أن الركب لا يستعمل إلا للإبل.

وكذا يظهر المكان في معلقة طرفه بن العبد من خلال إشارته إلي (أماكن) أبرز ما جاء منها قوله:

لخوله أطلال ببرقة تهـمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر
فروضة دعمي، فأكنـاف ظللت بها أبكي وأبكي إلي

(الأعشي، 1999م.)

ويتضح المكان عند زهير بن أبي سلمي من خلال معلقته في إشاراته الشعرية إلي (أماكن) لها علاقة نفسية ووجدانية به، ومن أبرز هذه الأماكن:

أمن أم أوفـي دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالـمتثلـم
ودار لـها بالرقمتين كأنــها مراجيـع وشـم في نـواشر

(الأعشي، 1999م.)

وتقترن مخاطبة الطلل بإيقاظ الأسي واللوعة في نفسية الشاعر، إن ما تحتويه المصادر من تراث الأدب العربي يدلنا علي أن الأدب في إقليم الحجاز كان له الريادة في الشعر والنثر من حيث الكم والكيف، ويعود ذلك لعدة أسباب من أبرزها مكانة الحجاز التجارية، واندماج اللهجات العربية في لهجة قريش، واتخاذها لغة التخاطب والخطابة والكتابة والشعر، وقيام الأسواق الأدبية في حواضر الحجاز، وإصدار وثائق الأمن عن حلف الفضول الذي عقد في مكة ونزول القرآن علي محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم، واتخاذ الحجاز مقرا لخلافة المسلمين وقيام الأنصار والحضور للدعوة من خطباء وشعراء، وتشجيع الخلفاء علي حفظ الشعر وقرضه وإنشاده، لأنه ديوان العرب، وتوفر عوامل الترف في حواضر الحجاز، فإذا كانت هذه من أهم الأسباب التي جعلت من الحجاز قبله رواد الأدب بجميع فنونه، فمن أشهر شعراء الحجاز في العصر الجاهلي، النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمي، وأمية بن أبي الصلت.

فمن جماليات الوصف في المكان عنصر التشبيه في قول زهير بن أبي سلمي:

ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم في نواشر

فجمالية الصورة التي رسم ظلالها تظهر من خلال تشبيه المكان (الرقمتين) بالوشم الظاهر في معصم الفتاة.

ومن الجزئيات التي كثيرا ما نلحظها في هذه المقدمات تشبيه الطلل (المكان) بالكتاب يقول عبيد بن الأبرص الأسدي:

لمن الدار اقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب

غيرتها الصبا ونفح جنوب وشمال تذرو دقاق التراب

أوحشت بعد ضمر من بنات الوجيه أو حلاب

(الأزدي، 1345هـ.)

الشاعر في هذه الأبيات يصف الديار بأنها كالكتاب أو الحفير الذي يمنع السيل، لقد عملت عليها ريح الصبا وهي تحمل التراب فأصبحت موحشة لا فيها الفرس "وجيه" أو الفرس "حلاب"، فالمشاعر لو قدم لنا هذه الأوصاف عبر اللغة، ووصف ما رأه وصفا خارجياً، فإن ذلك لا يعني شيئا للمستمتع، لكن الشاعر هنا بوصفه هذه الديار وتشبيهه لها بالكتاب أو بالنؤي حمل هذا المكان صفة رمزية تحمل رغبة الشاعر في استئناس هذا المكان ومحاولة التغلب علي عنصر الخوف، ويظهر أيضا ضعف المكان وصفه التحول حين يربط هذا التغيير في الرياح، ليمعن في إظهار قوة هدم ودمار المكان، فهذا المكان موحش لا تري فيه أثراً للحياة.

ونري صورة أكثر تجسيداً للحظة التحول عند الشاعر ثعلبة بن عمر العبدي حين يختار صورة الكاتب المكب علي الصحيفة، وهو يتبع قلمه قصداً مبيتاً، يقول:

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكثيب

فما أحدثت فيها العهود تلعب بالسمان فيها

يقيم يديه تارة ويخالف

أكب عليها كاتب بدواته ويرفع عينيه عن الصنع
رجا صنعه ما كان يصنع (الأزدي، 1345هـ.)

فيبدأ الشاعر حديثه باستفهام الغرض منه فتح الباب أمامه، ليحدثنا عن هذه الديار، فينقل للمستمع صورة هذه المكان، ثم يتبع ذلك بالتشبيه، ثم ينقل لنا الحركة المتعاقبة لهذا الكاتب: "يقيم يديه تارة ويخالف"، ليزيد بذلك من حركة التحول من خلال حركة هذا الكاتب.

ويقول النابغة الذبياني:

يا دار ميه بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف
وقفت فيها أصيلاً أسائلها عيت جواباً وما للربع من
(الذبياني، 1999م)

ومما يلاحظ أن الشعراء كانوا يضيفون الديار إلي أسماء محبوباتهم مثل "دار أسماء" و"دار ميه"... وغير ذلك من الأمثلة، ثم يأخذ بعض الشعراء في أحيان معينة في ذكر ما طرأ علي الديار من خراب وموت وإقفار، ومن هنا يكون نداء الديار مقترنا بما حل بهذه الديار من تهدم، ولذلك يتحول النداء إلي صرخات من الألم والتحرق والحسرة، وهذا يكشف عن معاناة الذات الشاعرية أمام التحول الذي حل بالديار.

وكذلك نري التشخيص في كثير من الأماكن التي ورد ذكرها في الشعر، ويشير الجرجاني إلي عنصر التشخيص فيقول: ".... فإنك لتري بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية". (الذبياني، 1999م.)

ويقول الأعشي واصفا البعد المكاني والمسافة:

أني تذكر ودها وصفـاءها سفها وأنت بصورة الأثماد
فشباك باعجة فجنبي جائر وتـحل شاطنه بدار إيـاد
(الأعشي، 1999م.)

وقد استخدم الشعراء صورة الوحشة والخراب للمكان في المقدمة الطللية، فيقول زهير بن أبي سلمي في ديوانه":

قــف بالديار التي لم يعفها بلي وغيرها الأرواح والديــم
لا الدار غيرها بعد الأنيس بالدار لو كلمت ذا حــاجة
دار لأسماء بالغمرين ماثلــة كالوحي ليس بها من أهلها

(ابن أبي سلمي، 1964م)

يضعنا الشاعر أمام الديار مباشرة : |قف بالديار" ليرسم لنا صورة تتردد بين الخراب "بلي وغيرها الأرواح والديم"، وبين عدم الخراب" لا الدار غيرها بعد الأنيس"، فالشاعر يستخدم حاسة البصر، ليحقق من خلالها أكبر قدر ممكن من جماليات المكان الموصوف، فعلي الرغم من قفار هذه الديار من أصحابها، إلا أنه يراها لا تزال حية ولم تتغير، ويعمل بعد ذلك علي اختزال هذه الصورة من خلال التشبيه بالبيت الثالث، حيث تتقارب عناصر الصورة في وحدة دالة.

إن مثل هذه اللحظة المكانية التي ارتسمت في قرارة نفس الشاعر، تعتمد علي جملة من العناصر المادية المشاهدة من تغير وتحول أصاب المكان، فهندسة هذه الأبيات تحكمها صفتان هما، ثبات الدار، وخلوها من الأهل... أنها وقفة قد تبدو قصيرة لكنها تملأ النفس شجنا علي من فارق هذه الحياة، فيحاول أن يظهر عنصر البقاء والثبات داخل عنصر الهدم والتحول.

فنلاحظ تعداد الأماكن وهي رموز للبعد المكاني، فالشاعر ليس مساحا جغرافيا يتتبع أثار محبوبته ليسجلها، بل هو عاشق يذكر بعد المسافة وتعدد الأماكن لكي يعبر عن قرب نفسي تجاه المحبوبة.

إن في تعامل الإنسان مع السطح المكاني استشعاراً لمعاني اللذة والألم، والشقاء والسعادة، والخوف والأمن، وذلك تبعاً للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان في أجواء ذلك المكان، وكذلك الشاعر حيث يتعامل مع أسماء الأماكن (الكلمات) فإنما يتعامل معها وهي

مشبعة بالمعاني الوجدانية التي تتجاوز المعاني الانفعالية الأولية، يضاف إلي ذلك نتيجة الخبرة الفردية في ظل المكتسبات التي احتضنتها الكلمة الأولية عبر تاريخ حياتها في الفكر الجماعي. وحضور لامكان في الشعر أعمق من أن يوجد في لفظة أو غيرها، لأن الأساس في التجربة الشعرية منه انطلقت وإليه تؤول دلالات التراكيب المكونة لها، فالمسألة لا تقف عند حدود تصنيف التجارب حسب الأغراض الشعرية، كما لا يقف الأمر عند نقل واقع الأحداث في المكان حتى لا يعدو المكان أن يكون لوحة من لوحات الطبيعة تنتقل بالوصف الشعري الذي يبني جمالها، أو لا يعدو أن يكون وعاء يتحضن تجارب الإنسان وأفعاله ويقيه من تقلبات الجو والمجتمعات فيبكيه إذا حلت به الأحداث الجسام، فالمكان الجميل يحمل تسامي النفس الإنسانية عند الشاعر مثلما يحمل رثاء المكان دلالة الاعتبار إلي جانب معاني الوفاء وغيره من المثل العليأ، فللمكان تقسيمات عديدة، ولكن التقسيم الذي يهمنا هو ذلك التقسيم الذي يحدد موقف الإنسان من المكان تبعاً للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان في أجواء ذلك المكان، ومن هنا يمكن أن نستعرض كل قسم من أقسام الأماكن باستقراء أبرز عناصره، فالإنسان أما متألف مع المكان محب له، إما من حيث الانتماء، أو الحماية، أو الطمأنينة والصفا الروحي، فيتميز بالحميمية والقرب من قلب الإنسان، وهذا هو المكان الأليف.

- **الخاتمة:**

من المعلوم أن للمكان أثرا في ساكنيه، بل إن المكان وبفعل جاذبيته الفيزياسية يشد الإنسان إليه، علاوة علي ما يمنحه من بعد نفسي ووجداني لما يفيضه علي الإنسان من روح المواطنة والكينونة، ولعل خير دليل علي ذلك ما يحيل إليه الجذر اللغوي للمكان إذ يحيل لمادة (ك و ن) التي تدل علي الوجود والكينونة، لذا ارتبط المكان بالوجود ومن ثم بالهوية، ويظهر ذلك في أن الفرد يحيط به بداية من جلده الملاصق له إلي الكون الفسيح مروراً بمسكنه ومبناه، ومدينته، وبلدته.

فالفعالية التي تتمتع بها الشخصيات وتمنحها المكان تعد عملا إنسانياً، بل وبثا لأنسنة المكان المكان، ولذا فالمكان لم يكن محايداً في أي عمل إبداعي، فظهور الشخصيات وتنامي أحداثها يساعد بشكل قوي علي تشكيل المكان.

ويتضح جلياً مما تقدم أن العلاقة التفاعلية بين المكان وساكنه تجعل المكان واضحا في تشكيل النص، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي، وكما نلاحظ أن رحابة المكان جغرافيا لا تعني بالضرورة اتساعه في الشعر أو في نفسية شخوصها خاصة.

فالمكان من أهم المظاهر الجمالية، مما يستدعي منا الاهتمام به، وتقصيه، ودراسته، ونحن بحاجة لمزيد من الدراسات للمكان في الشعر الجاهلي ولا سيما المعلقات الشعرية، تأسيساً علي مفهوم جماليات المكان الذي كان واضحا منذ التراث العربي الجاهلي.

المصادر والمراجع

Ibn Abī Salma, Zuhayr, Dīwān Zuhayr ibn Abī Sulamī, al-Qāhirah : al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1964m

Ibn al-‘Abd, ṭarfah, Dīwān ṭarfah ibn al-‘Abd, Dimashq : Maṭbū‘āt Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, 1975m.

Ibn Shaddād, ‘Antarah, Dīwān ‘Antarah ibn Shaddād, Bayrūt : Dār al-Kutub al-Islāmī, 1983m.

Ibn manẓūr, Lisān al-‘Arab

Abū al-Hayf, D. ‘Abd Allāh, Jamālīyāt al-makān fī al-Naqd al-Adabī al-‘Arabī al-mu‘āṣir, Majallat Jāmi‘at Tishrīn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-‘Ilmīyah, 2005m

al-Azdī, Abū Bakr Muḥammad ibn Durayd, Jamharat al-lughah, Dār al-Bāz, 1345h

al-A‘shá, Maymūn ibn Qays, Dīwān al-A‘shá, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1999M

al-Alūsī, Maḥmūd Shukrī, Bulūgh al-arab fī ma‘rifat aḥwāl al-‘Arab, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

al-Tabrīzī, sharḥ al-Mu‘allaqāt al-‘ashr, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1985m.

al-Jubūrī, D. Yaḥyá, al-shi‘r al-Jāhilī khaṣā’iṣuhu wa-funūnuh, Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah, 1994m

al-Jurjānī, ʻAbd al-Qāhir, Asrār al-balāghah, Istānbūl : Maṭbaʻat Wizārat al-Maʻārif, 1954

al-Jurjānī, ʻAlī ibn Muḥammad, altʻryfāt, byrwt-Lubnān, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1403 h-1982m.

al-Dhubyānī, al-Nābighah, Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1999

al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá, Tāj al-ʻarūs, Maṭbaʻat Ḥukūmat al-Kuwayt, 1394 h-1947m.

al-Ṣaʻb, ʻAbd al-ʻAzīz, al-makān min manẓūr al-shāʻir wa-tajalliyāt Dhikrayāt al-ḥubb "maqāl", al-Riyāḍ, 2010, 535793 / http : / / www. alriyadh. com

al-ʻUmayrī, Amal, al-makān fī al-shiʻr al-Andalusī fī ʻaṣr mulūk al-ṭawāʼif, Jāmiʻat Umm al-Qurá : "al-Saʻūdīyah", 2006m

al-Fayyūmī, D. Saʻīd, Falsafat al-makān fī al-muqaddimah al-ṭalalīyah fī al-shiʻr al-Jāhilī, Filasṭīn "ʻIzz" Jāmiʻat al-Quds al-Maftūḥah, 2007m

al-Qarṭājannī, Ḥāzim, Minhāj al-bulaghāʼ wa-sirāj al-Udabāʼ, Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī, 1987.

al-Qayrawānī, Ibn Rashīq, al-ʻUmdah fī Maḥāsin al-shiʻr wa-ādābuh, Dimashq : Maṭbaʻat al-Kātib al-ʻArabī, 1994m

al-Manṣūrī, Jarīdī Salīm, Shāʻirīyat al-makān, Jiddah : ṭābiʻ Sharikat Dār al-ʻIlm lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, 1992m

al-Manīʻ, Hīlah ʻAbd al-Raḥmān, Abʻād al-makān fī Shāʻirīyat al-marʼah al-ʻArabīyah al-muʻāṣirah, al-Riyāḍ, Kullīyat al-Tarbiyah lil-Banāt.

al-Naṣīr, Yāsīn, Ishkālīyat al-makān fī al-naṣṣ al-Adabī, Baghdād : Dār al-Shuʼūn al-Thaqāfīyah al-ʻĀmmah, 1986

Imruʼ al-Qays, Dīwān amrʼ al-Qays, al-Qāhirah : Dār al-Maʻārif, 1984

Bāḥshwān, Sulamī bint Muḥammad ibn ʻAbd Allāh, al-makān fī shiʻr Ṭāhir al-Zamakhsharī, al-Mamlakah al-ʻArabīyah al-Saʻūdīyah : Jāmiʻat al-Malik ʻAbd al-ʻAzīz, 2008

Bāshilār, Ghāstūn, Jamālīyāt al-makān, byrwt-Lubnān : al-Muʼassasah al-Jāmiʻīyah lil-Nashr, 2005

Būʻazzah, Muḥammad, taḥlīl al-naṣṣ al-sardī (Tiqniyāt wa-mafāhīm), al-Jazāʼir : Manshūrāt al-Ikhtilāf al-Jazāʼir.

Dhākirat al-shiʻr al-Jāhilī, Mawqiʻ al-Alūkah, 2015, http : / / / www. alukah. net

Rabābiʻah, U. D Mūsá, tashkīl al-khiṭāb al-shiʻrī Dirāsāt fī al-shiʻr al-Jāhilī, al-Urdun : Muʼassasat Ḥamādah llrsāt al-Jāmiʻīyah, 2000

Raḍwān, ‘Abd Allāh, Dirāsāt taṭbīqīyah fī al-shi‘r al-‘Arabī, ‘Ammān : Dār al-Yāzūrī lil-shi‘r 2005

Shrshḥ, ‘Iṣām, Jadalīyat al-Zamān wa-al-makān, Dīwān al-‘Arab, 2015, 42479http : www. diwanalarab. com / spip. php? page=article & id _ article

Ḍayf, D. Shawqī, Tārīkh al-adab al-‘Arabī (al-‘aṣr al-Jāhilī), al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif

‘Ābid, Amal Mufarrij, al-makān fī al-shi‘r al-Jāhilī, al-Urdun : Jāmi‘at Mu’tah, 1997

‘Abd al-Muslim, Ṭāhir, ‘Abqarīyat al-Ṣūrah wa-al-makān, ‘mān-al-Urdun : Dār al-Shurūq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2002

‘Izz al-Dīn, Ḥasan al-Bannā, al-kalimāt wāl’shyā’, Bayrūt : Dār al-Manāhil, 1989

Marhūn, ‘Aqīl, al-ru’yah al-fannīyah wa-dalālat al-makān fī al-shi‘r al-‘Arabī, al-‘Irāq : Jarīdat al-Ṣabāḥ, 2013http : / / www. alsabaah. iq / default. aspx

Mnṣwryh, ibn ‘Imārah, al-makān fī al-shi‘r al-Maghribī al-qadīm "Risālat", Tilimsān Jāmi‘at Abī Bakr Balqāyid